

جدلية الاستبداد والاستضعاف (2 من 2) [1]

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD26815.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/08/26
السنة الثامنة - العدد: 2917



تجليات الاستبداد:

ومن واقع ما سبق، بدءًا من أصل المضمون (الانفراد والغلبة) وقبولاً بمشروعية البدايات، وتحذيراً من التوقف والتمادى والتعميم، يمكن رصد فشرح عدد غير قليل من مجالات ومظاهر الاستبداد من أول درجة من إيجابياته النفسية في تربية الأطفال حتى دوره السلبي في تفرد شركات الدواء بزراع أفكار مطلقة شبه علمية في عقول الأطباء (لاسيما صغارهم)، مروراً باستبداد بعض المناهج العلمية - دون سواها - لاحتكار تعريف ما هو علم، انتهاءً باستبداد القوة العالمية الجديدة لاحتكار الحرية تحت اسم الديمقراطية (أو العولمة حديثاً)، ثم احتكار الحضارة تحت اسم التقدم، واحتكار أمل الوجود البشري في التطور تحت مسميات مثل مجتمعات الوفرة والرفاهية.

الاستبداد في الحب دعوة لجدل محتمل:

يقول عمر بن أبي ربيعة:

وشفت أنفسنا مما تجد

ليت هذا أنجزتنا ما تعد

إنما العاجز من لا يستبد

واستبدت مرة واحدة

هل كان عمر بن أبي ربيعة يمزح أو يناور وهو يتمنى على هند أن تستبد به ولو مرة واحدة، أم أنه كان ينبهنا إلى عمق هذه الحاجة ومشروعيتها وهو يعلنها بلسان رجل خبير؟
إننا نميل إلى تقخيم رجولة الرجل بإطراء خشونته أو التلميح بفحولته، فكيف نفهم أمنية عمر بن أبي ربيعة أن تستبد به هند وهو يعلنها صريحة هكذا؟ إننا -أيضاً- نصور ونتصور أنوثة المرأة بشكل إن دل على شيء فهو يدل على طغيان المفهوم الاجتماعي (المحلي) على المفهوم البيولوجي/الوجودي للأنثوية، إن التركيز على تصوير أنوثة المرأة، من خلال البعد الاجتماعي المتخلف باعتبارها تمارس موقف المتلقى الناعم السلبي المستجيب بأقل قدر من المبادأة، هو موقف خاطئ ناقص. المرأة لا تتفجر أنوثتها الفطرية، إلا إذا احتوت ذكورتها في تكامل خلاق.
ذكورة المرأة ليست استرجالاً، بل هي تأكيد لأنوثتها، حتى من وجهة نظر هرمونية. إن اللقاء الأنجح والأكمل بين المرأة والرجل يكون لقاء رباعياً بين أربعة وليس اثنين، وذلك حين يسمح الرجل لأنثاه الداخلية أن تحضر لتحتوي ذكورة شريكته، هي حين تسمع المرأة لذكورتها الكامنة أن تخرق تردّد شريكها. إن جاذبية المرأة الجسور، (المستبدة)، التي لا تنتقص من أنوثتها بل تُضاعفها، لا تخفى على المبدعين والمؤرخين عبر التاريخ. أشير استطراداً إلى مثالين من السينما: العجرية: لندادارنيل في: فيلم "عبر إلى الأبد" في أواخر الأربعينيات أو أوائل الخمسينيات ثم فيلم (شباب امرأة)، وفيه تحية كاريوكا، تجسد هذا الدور بكفاءة، ربما تتسق مع سمات شخصيتها بشكل أو بآخر. هكذا قدمت السينما للشخص العادي حضور المرأة المستبدة فائقة الأنوثة.

دورات التبادل:

لا يمكن أن نستوعب معنى الجدل دون مسخه، إلا ونحن نعيش حركيته مع الزمن وحيوية

هل كان عمر بن أبي ربيعة يمزح أو يناور وهو يتمنى على هند أن تستبد به ولو مرة واحدة

المرأة لا تتفجر أنوثتها الفطرية، إلا إذا احتوت ذكورتها في تكامل خلاق

ذكورة المرأة ليست استرجالاً، بل هي تأكيد لأنوثتها، حتى من وجهة نظر هرمونية

إن اللقاء الأنجح والأكمل بين المرأة والرجل يكون لقاء رباعياً بين أربعة وليس اثنين، وذلك حين يسمح الرجل لأنثاه الداخلية أن تحضر لتحتوي ذكورة شريكته، هي حين تسمع المرأة لذكورتها الكامنة أن تخرق تردّد شريكها

أن نفرحنا أيضاً بمشروعية مبدئية للاستضعاف على مسار تجاوز سلبياته، وهكذا نقبل دوراته التبادل حيث يصعب المستضعف مشروع مستبد، هي حين يتراجع المستبد إلى مشروع مستضعف وهكذا

الإيقاع. إذا اعترفنا ابتداء - كما حاولنا في البداية - أن علينا أن نعطي للاستبداد مشروعية مبدئية تمهيدا لتجاوز مضاعفاته، ثم أن نقر اعترفاً أيضاً بمشروعية مبدئية للاستضعاف على مسار تجاوز سلبياته، وهكذا نقبل دورات التبادل حيث يصبح المستضعف مشروع مستبد، في حين يتراجع المستبد إلى مشروع مستضعف وهكذا. لعل هذا هو ما أشارت إليه الآية الكريمة: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين)، كما لعل هذه الدورات أيضاً تكمن فيما تلوح به الديمقراطية من (تداول السلطة).

حتى الوالد الذي أشرنا إلى حاجة الطفل إلى استبداده، حين يعمر ليصبح كهلاً جميلاً، يصبح أحوج ما يكون إلى من يستبد به ليعينه.
وانطلاقاً من هذا التبادل يتحفز الجدل وقد يتحقق مع استمرار الدوران.

الخلاصة:

أخلص من كل ذلك إلى تحديد الفروض التي حضرتني من خلال هذه الإحاطة المتنوعة على الوجه التالي:

أولاً: إن كلا من الاستبداد والاستضعاف طبيعة بشرية عامة.

ثانياً: إن ظهور، وقبول أي منهما يتوقف على المرحلة، التي تظهر الظاهرة فيها، ثم على توظيف أي منهما لغرض بذاته، في طور بذاته، من أطوار الوجود والنماء.

ثالثاً: إن الاستبداد (بالمعنى الذي ورد في المقال كـ) ضرورة مبدئية مرحلية، لكن التماذي فيه فعل شمولي جامد، يحقق عكس ما تعد به بداياته.

رابعاً: إن (الاستضعاف) حق مرحلي مشروع، لكن التوقف عنده هو ظلم المستضعف لنفسه، بل وللمستبد به، لأنه يوقف الحركة للآخرين معاً.

خامساً: إنه بتبادل الأدوار، من خلال الإيقاع الحيوي للأفراد، ومن خلال تداول السلطة للجماعات، ومن خلال دورات الحضارة للأمم، بهذا التبادل تضطرد حركية جدلية تسمح باستيعاب هذه الحاجات الأساسية لتتخلق منها حيوية نابضة واعدة باطراد التطور دون اختزال أو استقطاب.

[1] - نشرت في مجلة العربي الكويتية، عدد أبريل-2004

*** **



النشرة اليومية "الإنسان والتطور"

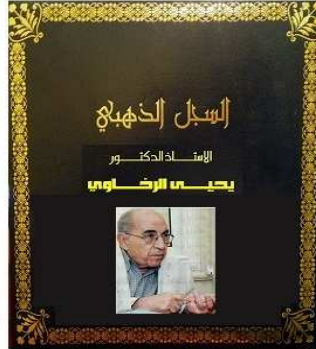
تدوّن عامك التاسع

و تطفئنا شمعتك التامة



اجعل

التكلمي



التكريم الحقيقي هو

أن تصل الكلمة إلى أصحابها...

وذلك نشارك الجميع في هذا التكريم إذعو من كل من عرف
الإستاذ الرخاوي (.. إنساناً إنساناً عالماً طبيباً إماماً صاحباً إخاً إبا زوجاً
رفيقاً زميلاً..). إن "يمون كلمة" في حق هذا العالم العربي / العالمي
الكبير.

إن كلا من الاستبداد
والاستضعاف طبيعة بشرية
عامة

إن ظهور، وقبول أي منهما
(الاستبداد والاستضعاف)
يتوقف على المرحلة، التي
تظهر الظاهرة فيها، ثم على
توظيف أي منهما لغرض
بذاته، في طور بذاته، من
أطوار الوجود والنماء

إن الاستبداد (بالمعنى الذي
ورد في المقال كـ) ضرورة
مبدئية مرحلية، لكن التماذي
فيه فعل شمولي جامد، يحقق
عكس ما تعد به بداياته

إن (الاستضعاف) حق مرحلي
مشروع، لكن التوقف عنده
هو ظلم المستضعف لنفسه، بل
وللمستبد به، لأنه يوقف
الحركة للآخرين معاً